كيف يفكر علي عبدالله صالح؟

د. علي صالح موسى

كاتب متخصص في الشؤون اليمنية، نائب مندوب اليمن في جامعة الدول العربية سابقاً.

استطاع الرئيس السابق علي عبدالله صالح، صاحب القسط القليل من التعليم والرتبة العسكرية المتواضعة، أن يُصبح رئيساً لليمن الشمالي عام 1978، وهو في السادسة والثلاثين من عمره، ثم رئيساً لدولة الوحدة، الجمهورية اليمنية في عام 1990 وحتى 2011، ذاك الحكم الذي وصفه شاعر اليمن البرودوني بأن "ركوب الليث أصعب من حكم اليمن".

حكم صالح اليمن بطريقته، ووفقاً لتفكيره، بطريقة شبهها البعض باللعب على الحبلين، أما هو فيروق له تشبيهها في خطاباته المتكررة "بالرقص على رؤوس الثعابين". وأدرك أسرار وقواعد تلك الطريقة التي تعتمد على تقديراته الشخصية وخبراته، وسرعة بديهته، وتصرفه بالمال العام، ومنحه المناصب في المجالين المدني والعسكري؛ لتثبيت واستمرار دعائم حكمه، فكان ذلك أساس منهج تفكيره وأسلوب قيادته، الذي طبقه في تعامله مع الدوائر القبلية والعسكرية، وضمن به الحكم 33 سنة.

أولاً: الواقع وتأثيره

تتطلب المقاربة لكيفية تفكير الرئيس السابق المرور السريع على واقع اليمن الراهن. فاليمن من أقل البلدان نمواً في العالم. حوالي 54% من سكانه تحت خط الفقر، ونسبة الأمية فيه 64%، حالة الحريات السياسية والمدنية هي الأقل بين معظم دول العالم. اليمن هو أكثر البلدان العربية قبلية، تقدر بنسبة 85% من السكان (25 مليون نسمة) ويقدر عدد القبائل بحوالي 168 قبيلة، يمتلكون أسلحة خفيفة ومتوسطة، وأكبر القبائل وأشهرها بكيل وحاشد.

انشغل صالح كثيراً في خصومات وصراعات سياسية، وأعطى لبناء اليمن الوقت القليل، مع أنه كان بإمكانه تحقيق تقدم تنموي في ظل الإمكانيات البشرية والطبيعية المتوفرة، فخرج الشباب في عام 2011 لتغيير هذا الواقع وإسقاط النظام. تخلى صالح عن السلطة، وضمنت المبادرة الخليجية له ولأسرته الحصانة وعدم المساءلة وتشكلت حكومة وفاق وطني عجزت عن القيام بأي خطوات نحو تحسين معيشة الناس التي ازدادت تدهوراً، وانعدم الأمن على الرغم من أن عدد أفراد الشرطة يصل إلى 167 ألف فرد، بواقع شرطي لكل 149 مواطناً حسب تصنيف الأمم المتحدة.

ذلك هو الواقع، الذي كان امتداداً للماضي، وتفاقم في الحاضر، فكيف تعامل معه صالح خلال سنوات حكمه الطويلة، وكيف بقي رقماً صعباً في العملية السياسية؟

ثانياً: طريقة تفكير صالح

المتتبع لمراحل حكم صالح، تتزاحم في مخيلته صور لأحداث ومنعطفات كثيرة، نورد لمحات سريعة منها، تساعد على تكوين صوره عن طريقة تفكيره، وهي:

- **استقطاب القبائل:** تمكن من تحقيق تبعية القبائل له، فهو يدرك أنه لن يهمها الأيديولوجيا بل المال؛ فاستقطب أهم مشايخها ومنحهم المناصب الاستشارية الصورية، وأنشأ مصلحة شؤون القبائل من ميزانية الدولة لصرف الملايين على بعضهم، وتحالف معهم للقضاء على معارضيه.

- **ضرب الخصوم:** يقول الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر في مذكراته: إن إنشاء حزب الإصلاح الغرض منه معارضة

اتفاقيات علي عبدالله صالح مع علي سالم البيض، لقد طلب منا "مجموعة الاتجاه الإسلامي" أن نكون حزباً في الوقت الذي كنا لانزال في المؤتمر الشعبي العام، وأكد أنه سيدعمنا، والهدف من ذلك إعداد الإسلاميين لمواجهة الاشتراكيين وضرب الإسلاميين بهم.

- إثارة الصراعات: لم يتوقف صالح عن إثارة الخلافات والصراعات بين المجموعتين السياسيتين المتصارعتين في 13 يناير 1986 في الجنوب والمعروفتين بالطغمة والزمرة (الطغمة هم مجموعة علي سالم البيض وحيدر العطاس، حكموا الجنوب من 1968 إلى 1990. الزمرة هم مجموعة عبدربه منصور هادي وعلي ناصر محمد، خسروا الصراع ونزحوا حينها إلى الشمال).

- إعلاء المصلحة الشخصية: فعلى سبيل المثال تراجع صالح عن وعده بعدم الترشح لانتخابات الرئاسة 2006، وبرر ذلك حينها بأنه يلبي طلب الجماهير المحتشدة في ميدان السبعين بالعاصمة صنعاء. وتظهر برقيات ويكيليكس المسربة جانباً من تفكير صالح، فهو اعترف بالكذب على شعبه، حينما ذكر أن الهجمات الصاروخية الأمريكية على القاعدة في ديسمبر 2009 كانت من عمل القوات اليمنية بدعم من المخابرات الأمريكية، وأنه أبلغ الجنرال ديفيد بتريوس قائد القيادة المركزية الأمريكية بأنه سيواصل القول بأن هذه القنابل قنابلنا وليست قنابلكم. كما تكشف وثيقة أخرى أنه عرض الهدنة مع تنظيم القاعدة لإيقاف الهجمات المتبادلة، فما كان يقلقه هو الحفاظ على سلطته الخاصة بدلاً من استئصال الجماعات المتطرفة.

إن هذه التركيبة جعلت صالح ينجح في تحويل أحداث 2011 إلى أزمة سياسية، استعان بحلها بالخارج، معلناً قبوله مبادرة الحل ومشترطاً التوقيع عليها في الرئاسة وبحضور المعارضة؛ ثم العمل على الانقلاب عليها في أقرب فرصة.

ثالثاً: استمرار الدور

اقترح فريق "الحكم الرشيد" في مؤتمر الحوار الوطني أن ينص الدستور على "العزل السياسي لكل من شملتهم الحصانة بالقانون رقم (1) لسنة 2012، لكن ممثلي المؤتمر الشعبي العام رفضوا ذلك، وكان الحل لتفادي الأزمة التي نشبت حينها أن حدد فريق "الحكم الرشيد" شروطاً للترشح لمنصب الرئيس منعت صالح من الوصول إليه مجدداً.

لكن طريقة تفكير صالح أشارت إلى أنه لن يدع الحكم، عن طريقين، أولهما ما يقوم به من أدوار سياسية بالغة، وثانيهما أن يتولى الحكم مقربون منه يعتمدون عليه.

لقد كانت أبرز ملامح تفكير صالح خلال فترة حكمه هو محاولة تهيئة الظروف المناسبة لتوريث الحكم، فكانت مسألة خلافة ابنه "أحمد" موضع نقاش حاد واعتراض من المقربين منه. ويمكن الجزم بأن تنحية علي صالح - الأخ غير الشقيق لعلي صالح - من قيادة الحرس الجمهوري وإسناد المهمة لابنه أحمد كانت لأجل هذا الهدف، كما أن أحد عوامل انشقاق

> لايزال الرئيس السابق علي عبدالله صالح يرقص على رؤوس الثعابين، ذات الطريقة التي حكم بها اليمن ٣٣ سنة؛ فعلى الرغم من خروجه من السلطة، يؤثر صالح سياسياً وينسج تحالفاته الداخلية والخارجية وفق حسابات شخصية لا وفق مصالح اليمن.

اللواء علي محسن الأحمر وانضمامه إلى المعتصمين وإعلان حمايتهم، كان بسبب توجه صالح نحو توريث الحكم، فقد حاول صالح إضعاف اللواء بزجه في ست حروب ضد الحوثيين (2004-2009). وكانت هذه الحروب "كأساً مسمومة مقدمة لعلي محسن"، لكنه تجاوزها حينما انتصر في عام 2001، بينما ينتصر صالح اليوم بالأداة ذاتها التي حاربها من قبل.

ولا يُخفِي علي صالح تطلعه وهاجسه الأول في الوقت الراهن لأن يتولى "أحمد" رئاسة اليمن، وإن كان ذلك يؤثر كثيراً على سمعة "أحمد" الطيبة؛ إذ يشجع صالح دعوات ترشح أحمد، مثل مبادرة "أحمد من أجل اليمن"، وإن كان يبرر أن الظرف غير مناسب، كما قال في مقابلته الصحفية مع مؤسسة "روسيا سيفودنيا للإعلام" يوم 13 نوفمبر 2014، وإن كان أحمد حتى لا يفكر في الأمر مثل والده.

رابعاً: التحالف مع الخصوم

إن تقديرات صالح في تعامله مع المحيط الإقليمي والدولي، وفي تحالفاته، لا تنطلق سوى من حساباته القائمة على الربح والخسارة وموقعه في المعادلة من دون النظر للمخاطر الإقليمية الناجمة عن ما تمر به اليمن؛ يعتمد في قراراته على قناعاته الخاصة وكم كبير من المعلومات التي أصبحت راسخة في عقله، وخبراته في التعامل مع الخصوم والأصدقاء.

ويعتقد صالح أن ما تعرض له من فرض عقوبات دولية ومعه اثنان من حركة الحوثيين، هو إجراء يقف وراءه الرئيس هادي منصور، فهو يراه سبباً في "الفهم المغلوط" لدى دول الخليج والولايات المتحدة وبريطانيا وآخرين؛ وذلك على الرغم من أن قرار فرض العقوبات من قبل مجلس الأمن مدلل بالمعلومات المؤكدة التي أوضحتها الديباجة بناءً على عمل لجنة العقوبات وفريق العمل.

هذا القرار يشير إلى تفكير صالح وتنفيذه حين يؤكد أن "صالح الذي نقل السلطة إلى نائبه له نفوذ كبير في السياسة اليمنية كرئيس للحزب الحاكم، وأنه يدعم جماعة الحوثي منذ 2012، وأنه حرص خلال سبتمبر 2014 على استخدام الجماعة لإحداث الفوضى في جميع أنحاء اليمن، وأنه يستخدم تنظيم القاعدة لتنفيذ اغتيالات ضد أشخاص، وهجمات ضد منشآت الجيش لإضعاف الرئيس هادي.

لم يعرف عن عبدالله صالح قطع التواصل مع خصومه مهما كانت درجة الخصومة، فلايزال على تواصل مع قيادات الجنوب، علي ناصر محمد والعطاس وغيرهم، وحتى علي سالم البيض نائبه حتى حرب 1996، وهو بارع في إرباك خصومه. ولذا من الوارد أن يعيد تقييم تحالفاته خاصة بعد العقوبات الدولية بحقه وتصنيف السعودية والإمارات حليفه جماعة أنصار الله جماعة إرهابية، وربما قد يتجه صوب اللواء محسن الأحمر مع التقاء مصلحتيهما معاً، خاصة بعد أن استوفى صالح حقه من محسن بهزيمته في سبتمبر 2014، والذي وقف ضد صالح عام 2011 وساعد على إسقاطه.